الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"علاقة الشيخ بالمريد وأثرها على سلوك الصوفيّة في المجتمعات"

إعداد الباحثة:

الدكتورة خديجة حمادي العبدالله

أستاذ مشارك في قسم العلوم الإنسانية/ كلية المجتمع في قطر

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الملخص:

الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين...

التصوف كظاهرة كان له أثره على مرّ التاريخ الإسلامي في كافة نواحي الحياة الشخصية على حياة المريد وجوانب حياته المختلفة الاجتماعية والتربوية والثقافية والاقتصادية، سواء ما يتعلق بالأفراد أم بالمجتمع ككل.

وأجلّ ما تبرز فيه هذه الآثار في مظاهرها الأولى أو البسيطة هو في علاقة المريد بالشيخ وكذلك العكس فقد تكلم الصوفية في شروطها وآدابها وأفاضوا في الحديث عنها وعن ضرورتها وأجادوا في كثير مما طرحوه.

لولا وجود بعض المخالفات في بعض الأحكام الشرعية المتفق عليها سلفاً وخلفاً، فمنعوا ما هو جائز كزواج المريد بزوجة الشيخ بعد طلاقها أو وفاته، وأوجبوا ما هو ليس بواجب.

ولو جردنا هذه التعاليم وتلك الآداب عما شابها من سيئات لأصبحت هذه التعاليم وتلك الآداب قواعد خير وبركة على المجتمع ككل بدءاً من حسن العلاقات بين الأفراد والجماعات وانتهاءً إلى تسابق حضاري إنساني تحكمه شريعة الله عزّ زجل ولقد حقق بعض الأجداد ذلك في ظل صوفية قرآنية فكانوا منارة خير وسعادة للبشر كما رأينا في المبحث الأخير، فلعلّ علاقة الشيخ بالمريد اليوم تثمر ما أثمرته بالأمس نسأل العليّ القدير ذلك فهو نعم المولى ونعم المجيب.

الكلمات المفتاحية: التصوف – الشيخ – المريد – الخرقة – الارتباط – التقوى – الاستقامة.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين...

أمّا بعد: فلا شك أن تزكية النفس وتطهير القلب من أجلِّ مقاصد الشرائع الإلهية وكيف لا وقد فرضت العبادات للوصول إلى هذه الغاية النبيلة التي تفتح للإنسان سعادتي الأولى والآخرة.

ولما كان لكلّ أمر ذي بال طريقة ومنهاج، كان لتزكية النفس طريقة ومنهاج[1].

وقد سمي العلم المختص بتزكية النفس ((التصوّف)) وهو لا يعني الانغلاق، ولا التقمص الخاطئ، وإن كان هناك من أساء فهمه أو تطبيقه، فالتصوف كظاهرة وكمدرسة وكطريقة كان له أثره على مرّ التاريخ الإسلامي في كافة نواحي الحياة الشخصية على حياة المريد وجوانب حياته المختلفة الاجتماعية والتربوية والثقافية والاقتصادية، سواء ما يتعلق بالأفراد أم بالمجتمع ككل.

وأجلّ ما تبرز فيه هذه الآثار في مظاهرها الأولى أو البسيطة هو في علاقة المريد بالشيخ، هذه العلاقة التي تنعكس فيها معاني الصفاء والسمو والتسامي وصولاً إلى مرضاة الله والاستغناء عما سوى الله، والسلام والتسامح مع الآخرين والتعاون والعطاء والإحساس بالمسؤولية، والعمل الجاد والمتقن كنتيجة لهذه المعاني التي تحملها هذه الطريقة وهذه العلاقة الإنسانية مع الشيخ.

[1] أبي عبد الرحمن بن الحسين بن موسى السلمي، تسعة كتب في أصول التصوف والزهد ، تحقيق: د: سليمان إبراهيم آتش ط: الأولى 1414هـ - 1993م – ص5 .

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

فكأن المريد حين سلك هذه الطريقة واتبع شيخه، كأنه اقتبس منه شعلة أنارت عليه كل الزوايا المظلمة في قلبه وعقله مما خفي عليه أو صعب فكراً أو سلوكاً في أمور الدين، فسار هذا المريد مسترشداً بهدي هذا النور الذي أصبح بمثابة العلم الذي يهدي إليه جميع السائرين ويدل عليه بالآثار التي يتركها على صاحبه في كافة نواحي الحياة والتي يستطيع كل إنسان أن يلمسها ويراها حيةً في تطبيق رائع يقارب المثالية يعكس الفكر الحي والأخلاق الفاضلة والعطاء المستمر لطريق قدّمت ولا تزال تقدم الكثير لكلِّ محب لالتزام ديني صادق صافٍ عن الشوائب طاهر النوايا حسن التمثل لمفاهيم هذه الطريقة في فهم الدين الإسلاميّ فكراً وسلوكاً، قلباً وعقلاً، أفراداً وجماعات.

منهج البحث : اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، كما اعتمدت على المنهج الاستقرائي والناقد.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تتعلق بالتصوف، ولا يخفى على أحد ذلك الدور الذي لعبه التصوف على مرّ التاريخ الإسلامي في كافة نواحي الحياة، وما تركه من أثرعلى جوانب حياة المريد المختلفة الاجتماعية والتربوية والثقافية والاقتصادية.

أما خطة البحث، فقد جاءت في مبحثين خلا المقدمة والخاتمة، على النحو الآتي:

- **المقدمة.**
- **تمهيد** : ويتضمن تعريف التصوف
- **المبحث الأول :علاقة الشيخ بالمريد.**

المطلب الأول: الشيخ والمريد

أولاً: تعريف الشيخ

ثانياً: المريد

المطلب الثاني: الارتباط بين الشيخ والمريد.

المطلب الثالث: الأدب عند المريد

أولاً: أدب المريد مع شيخه، وما يؤخذ عليه.

ثانياً: أدب المريد في خاصة نفسه ومع غيره.

-**المبحث الثاني: أثر علاقة الشيخ بالمريد على سلوك الصوفية.**

المطلب الأول: أثر علاقة الشيخ بالمريد على نفس المريد.

المطلب الثاني: أثر علاقة الشيخ بالمريد على محيطه الاجتماعي.

أولاً: أثر علاقة الشيخ بالمريد على الرفاق المريدين.

ثانياً: أثر علاقة الشيخ بالمريد على الأسرة والأقارب.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ثالثاً: أثر علاقة الشيخ بالمريد على إنشاء الصدقات كماً ونوعاً.

المطلب الثالث: أثر علاقة الشيخ بالمريد على عمله المهني.

أولاً: أثر علاقة الشيخ بالمريد على اختيار المريد لمهنته.

ثانياً: أثر علاقة الشيخ بالمريد على رفاق المهنة.

ثالثاً: أثر علاقة الشيخ بالمريد على الإنتاج والإتقان لدى المريد.

المطلب الرابع: أثر علاقة الشيخ بالمريد على رقي البلاد وحضارتها.

-الخاتمة .

-المراجع والمصادر.

تمهيد :

أولاً: تعريف التصوّف:

عُرِّفَ التصوف بأكثر من تعريف، عرفه معروف الكرخي () (ت 200هـ) بقوله: " الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق "[2]، ولقد عرّفه سيد الطائفة الإمام أبو القاسم الجنيد (ت 297هـ) () بأنه: ((تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشريّة، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، و التعلق بالعلوم الحقيقية، و واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، وإتباع الرسول ε في الشريعة))[3].

وقال السراج الطوسي [4] (378هـ) عن الصوفية:" هم العلماء بالله، وبأحكام الله، العاملون بما علمهم الله، المتحققون بما استعملهم الله، الواجدون بما تحققوا، الفانون بما وجدوا، لأن كل واحد قد فني بما وجد". [5]

ثانياً: تعريف السلوك:

---

(2) انظر الجرجاني: كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني الحسيني الحنفي (816هـ)، ت: د. محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، ط1(1424هـ، _ 2003م)، ص 123 الطوسي: اللمع، ص 45–47، وانظر السهروردي: عوارف المعارف، طبعة ملحقة بكتاب إحياء علوم الدين، دار الفكر (بيروت)، (د.ط/ ت) ص 79

(4) كتاب المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية (الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة) كلية دار العلوم: 1996م، بحث أ.د: محي الدين الصافي. ص213.

(5) الطوسي هو: عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى الصوفي الزاهد، الملقب: بطاووس الفقراء، وشيخ الصوفية روى عن جعفر الخلدي، وكان على طريقة أهل السنة، توفي في رجب (378هـ). اشتهر بكتابه اللمع. انظر ابن العماد: شذرات الذهب قي أخبار من ذهب، ت: عبد القادر أرناؤوط، محمود أرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق، بيروت)، ط1

(6) الطوسي: اللمع، ص 45_47.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

سيكولوجيا: سلوك الكائن تجاه مجموعة ردود الأفعال المترتبة على تجربته السابقة سواء أكانت مشتركة بين أفراد نوعه أم خاصة به، أخلاقياً: سيرة الإنسان ومسلكه ومنه آداب السلوك [6].

المبحث الأول: علاقة الشيخ بالمريد

المطلب الأول: الشيخ والمريد.

أولاً: الشيخ:

- **تعريفه:** هو الذي سلك طريق الحق وعرف المخاوف والمهالك فيرشد المريد إليه بما ينفعه وما يضره.

وقيل الشيخ: هو الذي يقرُّ الدين والشريعة في قلوب المريدين والطالبين، وهو الذي يحبب عباد الله إلى الله، ويحبب الله إلى عباده، وهو أحب عباد الله إلى الله. وقيل هو: الذي يكون قدسي الذات فاني الصفات. [7].

- **شروط الشيخ:**[8]

1 – أن يكون سلوكه على الكتاب والسنة وأن يكون عالماً بما يحتاج إليه المريدون من الفقه والعقائد بقدر ما يزيل الشبه التي تعرض للمريد في البداية.

2 – أن يكون عارفاً بكماليات القلوب وآدابها وآفات النفوس وأمراضها وكيفية حفظ صحها واعتدالها.

3 – أن يكون رحيماً بالمسلمين خصوصاً بالمريدين، حكي عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه كان يقول لأصحابه ((لو علمت أن صلاة ركعتين أفضل من جلوسي معكم ما جلست عندكم))[9].

4 – أن يستر ما اطلع عليه من عيوب المريدين.

5 – أن يتنزه عن مال المريدين, ولا يطمع في شيء مما في أيديهم.

6 – أن يكون مؤتمراً بما يأمر به منتهياً عما ينهى عنه حتى يؤثر كلامه في النفوس.

7 – أن لا يجالس مريديه إلا قدر الحاجة وأن يذكر لهم طرفاً من الطريقة والشريعة ليعبدوا الله بصحيح العبادات.

8 – أن يكون كلامه صافياً من شوائب الهوى والهزل ومالا يعني.

---

(1) المعجم الفلسفي:2/ [18] 136. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، سنة الطبع: 1388هـ –1968م.

(2) الإمام الغزالي: الرسالة اللدنيّة،ضبطه: رياض مصطفى العبد الله، صادر عن دار الحكمة.،دمشق، ص87.

(3) محمد أمين الكردي: تنوير القلب في معاملة علام الغيوب، حققه: نجم الدين أمير الكردي سنة الطبع:1411هـ – 1991م،دار القلم العربي ، سورية مطبعة الصباح دمشق.ص583 – 586

(4) الإمام الغزالي: الرسالة اللدنيّة، ص87 .

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

9 – أن يسامح في حق نفسه فلا يكون متوقعاً تعظيمه وتوقيره ولا يكلفهم في حقه ما لا يطيقون، ولا يكثر معهم الانبساط والانقباض.

10 – إذا رأى من أحد المريدين أن كثرة المجالسة والمصاحبة معه تزيل من قلبه عظمته وهيبته أمره أن يجلس بخلوة.

11 – إذا علم أن حرمته سقطت من قلب مريد، فينبغي له أن يصرفه برفق لأنه من أكبر الأعداء عندهم.

12 – أن لا يغفل عن إرشاد المريدين إلى ما فيه صلاح حالهم.

13 – أن لا يسامح المريدين في كثرة الأكل ويمنع المريد من التكلم مع غير إخوانهم إلا لضرورة ويمنعهم عن التكلم مع إخوانهم بما يطرأ عليه من الكرامات لأن هذا يسيء إليهم.

14 – إذا وصف المريد رؤيا رآها أو مشاهدة شاهد فيها أحداً ما فلا يتكلم له على ذلك، ولكنه يعطيه من الأحوال ما يدفع به ما في ذلك ويرقيه إلى ما هو أعلى وأشرف.

15 – أن يجعل له خلوة ينفرد بها وحده.

16 – أن لا يمكِّنْ مريداً من أن يطلع على حركة من حركاته أصلاً ولا يعرف له سراً، وله هجر المريد إذا رآه يتجسس للإطلاع على ذلك مصلحةً للمريد.

17 – أن يحترز عن التردد إلى الأمراء والحكام لئلا يقتدي به في ذلك بعض مريديه.

18 – أن يكون خطابه لهم بغاية التلطف ويحذر من سبهم وشتمهم.

19 – إذا دعاه أحد من المريدين وأجابه فيكون بالتعزز والعفة وإذا جلس عند المريدين فليجلس بالسكينة والوقار ولا يكثر الالتفات عليهم ويخفض صوته.

20 – إذا دخل عليه أحد المريدين فلا يعبس في وجهه وإذا دخل هو على أحد مريديه يكون على أكمل حالة.

21 – إذا غاب أحد المريدين يتفقده بالسؤال، فإن كان مريضاً أعاده، أو في حاجة أعانه، أو له عذر دعا له.

وأخيراً أن يكون أخذ هذا الطريق عن شيخ محقق تسلسلت متابعته إلى رسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلامه، و ارتاض بأمره ريضة بالغة من قلة الطعام، والكلام، والمنام، وقلة الاختلاط مع الأنام، وكثرة الصوم والصلاة....[10].

وبالجملة: " فالكلمة الجامعة لآداب الشيخ أن يكون على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ما استطاع".[11]

- **هل يشترط وجود الشيخ؟**

والسؤال الذي يتبادر للذهن هنا هل يشترط وجود الشيخ للمريد أم لا؟

---

(1) الغزالي: الرسالة اللدنيّة، ص87 .

(2) محمد أمين الكردي: تنوير القلب في معاملة علام الغيوب، ص 586

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

نجد أن جملة الأجوبة دائرة على ثلاثة:

أولها: النظر للمشايخ: فالشيخ في سلوك طريق التصوف على الجملة أمر لازم لا يسع أحداً إنكاره ولكن الشيخ شيخان: شيخ تعليم وتربية، وشيخ تعليم بلا تربية.

فشيخ التربية:ليس بضروري لكل سالك، وإنما يحتاج إليه منهم من فيه بلادة ذهن واستعصاء نفس وأما من كان وافر العقل منقاد النفس فليس بلازم في حقه وإن كان تقيده به من باب أولى.

وأما **شيخ التعليم:** فهو لازم لكل سالك، وكتب التصوف مرجعها إلى شيخ التعليم لأن الاستفادة منها لا تصح إلا بافتقاد الناظر فيها أن مؤلفها من أهل العلم والمعرفة وممن يصح الاقتداء به، ولا يصح هذا الاعتقاد إلا من قبل معتمد عليه أو من طريق يثق به، فإن كان يستفيد مبيناً موافقاً لظاهر الشرع اكتفى بذلك، وإلا فلا بد له من مراجعة شيخ يبين له، فالشيخ إذن لا بد منه على كل حال، ولقد قيل: ((من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه)) [12].وقال أبو يزيد البسطامي: ((من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان)) [13].

الثاني: النظر لحال الطالب: فالبليد: لا بد له من شيخ يربيه، لأن حجب أنفسهم كثيفة جداً ولا يستقل برفعها وإماطتها إلا الشيخ المربي وهم بمنزلة من له علل مزمنة من المرض فإنهم لا محالة يحتاجون إلى طبيب ماهر يعالج عللهم بالأدوية الظاهرة.

واللبيب يكفي الكتاب في ترقية؛ وذلك لأن وفور عقله وانقياد نفسه يغنيانه عن الشيخ فيستقيم له من العمل بما يلقيه إليه الشيخ شيخ التعليم، أو بأخذه من الكتب، مالا يستقيم لغيره، ولا يُخاف عليه ضررٌ يقع له في طريقه إذا قصده من وجهه إلا أنه قد لا يكمل كما يكمل من تقيّد بالشيخ المربي [14].

الثالث: النظر للمجاهدات: فمجاهدة التقوى: والتي هي بالورع فلا يضطر فيها إلى الشيخ، وإنما يكفي فيها معرفة أحكام الله وحدوده سواء أخذت من كتاب، أو لقنت من معلم.

أما مجاهدة الاستقامة: والتي هي التخلق بالقرآن، وبخلق الأنبياء، فتحتاج إلى الشيخ المعلم لعسر الاطلاع على خلق النفس، وخفاء تلونات القلب، وصعوبة علاجها ومعاناتها.

وأما **مجاهدة الكشف والمشاهدة:** والتي مطلوبها رفع الحجاب، والاطلاع على العالم الروحاني وملكوت السموات والأرض فإنها مفتقرة إلى المعلم المربي – وهو الذي يعبر عنه بالشيخ – افتقار وجوب واضطرار:

1- لأنها طريق خاص لأهل الهمم، فكأنها شريعة خاصة.

2- لأن صاحب هذه المشاهدة متعرض لأحوال قبل الكشف ومعه وبعده وهذه الأحوال محتاجة إلى الرقيب الخبير لئلا يتطرق إليها الفساد فيهلك السالك.

---

(3) ابن خلدون: شفاء السائل لتهذيب المسائل، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي 1957، ص113 .

(4) عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية، ص 361 .

(1) ابن خلدون: شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص114.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

3- أن هذا السلوك موت صناعي، وكل تعلم صناعي لابد فيه من معلم.

4- أن المعاني التي بني عليها هذا السلوك فيها ما ليس متعارفاً بل هو ذوقي تعجز اللغة والكتب عن التعبير عنه، فلابد من الشيخ الذي يميز بذوقه أعيانها [15].

ثانياً: المريد، تعريفه: هو من انقطع إلى الله تعالى عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته إذا علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده الله تعالى، لا ما يريد العبد، فيمحو إرادته فلا يريد إلا ما يريده الحق سبحانه وتعالى [16].

وإذا وصل المريد إلى الشيخ عليه أن يحتاط ويجتهد في التعرف إلى حقيقة شيخه، وما إذا كان هو نفسه يصلح للمشيخة أم لا، فإن أكثر الطالبين هلكوا في هذا المنزل، وعليه أن يتحقق من صلاحية شيخه وعليه أن يتفحصه بأنه مستقيم على الشرع، وعلى الطريقة والحقيقة أم لا، وإن كان مبتدئاً فليعرف ذلك من أفواه الناس ومن أحوال الجماعة [17].

وينبغي أن يعرف المريد نسبة شيخه ورجال السلسلة كلها من شيخه إلى النبي)[18].

ولا ينبغي للمريد أن يعتقد العصمة في المشايخ، بل الواجب عليه أن يذرهم وأحوالهم، فيحسن بهم الظن، ويراعي مع الله تعالى حدّه فيما يتوجه إليه من الأمر والعلم مما يكفي التفرقة بين ما هو محمود، وما هو معلول[19].

المطلب الثاني – الارتباط بين الشيخ والمريد:

الصلة بين المريد وشيخه صلة حب قوي يسيطر على نفس المريد ويستولي على جملة مشاعره فيؤدي هذا الحب إلى ظهور صفات المحبوب في المحب.. [20]

ولقد توارث مشايخ الصوفية أسلوباً معيّناً في تلقين المريد طرق التصوف وأخذ العهد عليه بالالتزام بتعاليم مسلكهم، ومن هذه الأمور أن يُلبس الشيخ مريده **خرقة من الصوف:** ((وهي ارتباط بين الشيخ والمريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه, وفيها معنى المبايعة: وهي عتبة الدخول في الصحبة، وبالصحبة يرجى للمريد كل الخير ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة، وَيُعَرِّفُهُ بحقوقها، والخرقة خرقتان:

أ – خرقة الإرادة.

ب– خرقة التبرك.

---

(2) ابن خلدون: شفاء السائل لتهذيب المسائل: ص 114 .

(3) الغزالي: الرسالة اللدنيّة، ص 87 .

(1) الغزالي: الرسالة اللدنيّة، ص 87 .

(2) محمد أمين الكردي، تنوير القلوب، ص 559

(3) عبد الرحمن القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق: معروف زريق– علي عبد الحميد بلطه جي، دار الجيل، ص 361.

(4) د: أبو الوفا التفتازاني: ابن سبعين وفلسفة الصوفية،الطبعة الأولى1973، دار الكتاب اللبناني ص421 .

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

خرقة الإرادة للمريد الحقيقي، وخرقة التبرك للمتشبه، ومن تشبه بقوم فهو منهم، وسرّ الخرقة: أن الطالب الصادق يدخل في صحبة الشيخ و يسلم نفسه، ويصبح كالولد الصغير مع الوالد الذي يرقيه بعلمه المستمد من الله تعالى، بصدق الافتقار، وحسن الاستقامة و ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الإشراف على البواطن)) [21].

ويظن أن لبس خرقة من الصوف ضروري لتهذيب نفس المريد، وتعلم التواضع ويشترط كثيراً من الصوفية – في القرون السابقة – لبس الخرقة، ويضعون لها شروط معيّنة، منها أن يكون الشيخ نفسه قد وصل إلى مرتبة يحددها الشعراني بقوله: ((وأما لباس الخرقة فشرطه عندي أيضاً أن يعطي الله ذلك الشيخ من القوة ما ينزع به عن المريد، حال قوله له اخلع قميصك أو قلنسوتك مثلاً جميع الأخلاق المذمومة فيتعطل عن استعمال شيء منها إلى أن يموت ذلك المريد، ثم يخلع على المريد مع إلباسه تلك الخرقة، جميع الأخلاق المحمودة التي هي غاية درجة المريد في علم الله Y فلا يحتاج ذلك المريد بعد إلباس شيخه له الخرقة إلى علاج خلق من الأخلاق فمن لم يعطه الله تعالى ذلك أي من المشايخ فعمله كالاستهزاء بطريق العارفين)) [22]. وفي رأيي أن الشعراني هنا جانب الصواب في هذا الجانب إذ ليس الإنسان كالآلة تعمل على الأزرار ولكنه يُحكم بظروف شتى ويتفاوت تصرفه من ساعة لأخرى ويزل يخطأ و ((**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**)) [23].

المطلب الثالث: الأدب عند المريد

الأدب عند المريد: "مسلك يقوم على التزام حدود الشرع ومراقبة الله كما ينبغي سراً وعلناً ومعرفة حقوق الشيوخ " [24].

أولاً: آداب المريد مع شيخه، وما يؤخذ عليه.

أ–**أدب المريد مع شيخه:** تكلمت كتب التصوف عن هذه الآداب وذكرت عدداً كبيراً، أذكر منها [25]:

1- أن يوقر المريد شيخه ويعظمه ظاهراً وباطناً معتقداً أنه لا يحصل مقصوده إلا على يده وإذا تشتت نظره إلى شيخ آخر حرمه من شيخه وانسد عليه.

---

(5) الغزالي: منهاج العابدين، ضبط: رياض مصطفى العبد الله،دار الحكمة دمشق،سوريا ص113.

(1) محمود المراكبي: ظاهر الدين وباطنه،دار الطباعة والنشر مصر 1996 ص42 . نقله عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني في ((الطبقات الكبرى)) 160/20.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، جـ 3، ص: 198، والترمذي في سننه في أبواب صفة القيامة، 49/4، وابن ماجه في كتاب الزهد، 491/4.و إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي: ((كشف الخفاء ومزيل الإلباس))– مكتبة القدسي: القاهرة 1352هـ 2 /120 رقمه 1969

(3) المعجم الفلسفي: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر 1388 هـ – 1968م، 4 /161 .

(4) الشيخ محمد أمين الكردي: تنوير القلوب ص 587 – 590 ، محمود المراكبي: عقائد الصوفية في ضوء الكتاب و السنة : ص 159 – 164 ، د: حامد طاهر: تمهيد لدراسة التصوف الإسلامي، مكتب النشر للطباعة مصر 1991م – ص 82 ، رنيولد في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة د: أبو العلا عفيفي، سنة الطبع 1947م القاهرة ص 19 – 65 – 77 – 78 .

2- أن يكون مستسلماً منقاداً راضياً بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن.

3- أن لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهراً ولا يقول لما فعلت كذا.

4- أن لا يكون مراده باجتماعه بشيخه شيئاً غير التقرب إلى الله Y.

5- أن يسلب اختيار نفسه باختيار شيخه في جميع الأمور كلية كانت أو جزئية عبادة أو عادة، ولو قال له شيخه: ادخل التنور دخل، وفي هذا نظر!

6- لا يتجسس على أحوال الشيخ مطلقاً.

7- أن يحفظ شيخه في غيبته وأن يلاحظه بقلبه في جميع أموره.

8- أن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة ببركته.

9- أن لا يكتم عن شيخه شيئاً من الأحوال والخواطر والواقعات والكشوفات والكرامات.

10- عدم التطلع إلى تعبير الوقائع والمنامات والمكاشفات، وبعد عرض الحال على الشيخ يكون منتظراً لجوابه من غير طلب.

11- إن سأل أحد الشيخ عن مسألة فلا يجب عليه أن يبادر بالجواب في حضرته.

12- أن لا يتزوج قط امرأة رأى شيخه مائلاً إلى التزوج بها، ولا يتزوج امرأة طلقها شيخه، أو مات عنها. وفي هذا نظر من الناحية الشرعية!.

13- أن لا يشير قط على شيخه برأي إذا استشاره في فعل شيء أو تركه بل يرد الأمر إلى شيخه اعتقاداً منه أنه أعلم منه بالأمور ما لم تقم القرائن الواضحة على خلاف ذلك.

14- أن يتفقد عيال شيخه بالإحسان إليهم.

15- إذا وجد المريد نفسه عجباً بأعماله يذكر لشيخه ليدله على دوائه.

16- أن يعظم ما أعطاه له شيخه ولا يبيعه لأحد.

17- أن يجعل رأس ماله المصدق في الجد في طلب الشيخ فقد أجمع الشيوخ على أن المريد لو صح له كمال الانقياد مع شيخه ربما وصل إلى ذوقه حلاوة معرفة الله في مجلس واحد من أول اجتماعه به.

18- أن لا ينقص اعتقاده في شيخه إذا رآه نقص من مقامه بكثرة نومه في الأسحار مثلاً، أو قلة ورعه.

19- أن لا يكثر الكلام في حضرته، ولا يكلمه إلا بأدب وخشوع وخضوع.

20- غض الصوت في مجلس الشيخ.

21- لا يجلس متربعاً ولا على سجادة أمام الشيخ، بل ينبغي له في مجلسه التواضع.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

22- أن يبادر بإتيان ما أمره به بلا توقف ولا إهمال.

23- الفرار من مكاره الشيخ بكراهة ما تكره طبعاً وعدم ارتكابها اغتراراً بحسن خلقه.

24- أن لا يجالس من كان يكره شيخه، ويحب من يحبه.

25- أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه.

26- أن لا يجلس في المكان المعد له ولا يسافر ولا يتزوج ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه.

27- أن لا ينقل من كلام الشيخ عند الناس إلا بقدر أفهامهم وعقولهم.

ب – ما يؤخذ على أدب المريد مع شيخه .

إن آداب الصوفية التي يطالب المشايخ المريدين بإتباعها تتضمن أحياناً مخالفات واضحة للعقيدة السمحة والتوحيد الخالص، وأخطر ما فيها:

1- الاكتفاء بالشيخ وتعظيمه والتحذير من سماع العلم من غيره، وألا يقرأ كتاباً في العلم إلا بإذن الشيخ، وإن أكثر المشايخ يطلبون من المريد أن يحرث ما تعلمه من علم قبل أن يلقنه العهد، وحدث هذا مع الشاذلي وشيخه ابن شبيش وكذا الشعراني وشيخه الخواص، وابن المبارك وشيخه الدباع وغيرهم.

2- عدم الاعتراض على الشيخ ولو أتى فعلاً حراماً، أو قولاً مخالفاً للشريعة.

3- التوقف عن فعل المعروف إذا أمره الشيخ.

4- تقديس الشيخ: فليس للمريد أن يتكلم ولا يأكل ولا يضحك في حضرة الشيخ بل لا يجلس في فراشه ولا ينظر في وجهه.

- استمداد المريد من شيخه البركة ، وهي تعم المريد في دنياه وأخراه.
- ملازمة ورد الشيخ والويل لمن تركه فلن يفلح أبداً.
- أن لا يتزوج المريد امرأة رأى الشيخ مائلاً إلى التزوج بها، ولا امرأة طلقها أو مات عنها.

كيف يطلب المشايخ من أتباعهم ما لم يطلبه رسول الله ε من أصحابه، بل إنهم يطلبون منهم ما نهى النبي صلى ε عنه حتى أنه ε لعن الرجل الذي يتميز بين إخوانه [26].

ولا شك أن في بعض ما سبق مخالفة لبعض أحكام الشريعة الإسلامية التي لا خلاف فيها بين أهل العلم.

(1) محمود المراكبي: عقائد الصوفية في ضوء الكتاب و السنة ص 165.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ثانياً- أدب المريد في خاصة نفسه، و مع غيره .

أ-أدب المريد في خاصة نفسه : نجد في كتب التصوف آداباً كثيرة أذكر منها [27]:

1- أن يترك أصحاب السوء، ويجالس الأخيار قيل:

الروح كالريح إن مرت على عطر طابت وتخبث إن مرت على الجيف.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً "[28].

2- إذا كان ذا زوجة وأولاد وأراد الذكر أن يغلق باباً بينه وبينهم فإنه لا شيء أضر على المريد من صحبة الضد وهو الذي لا يهوى ما تهواه أنت.

3- أن يكون تاركاً للفضول، مقتصراً على قدر الكفاية من المأكل و المشرب والملبس.

4- أن يترك حب الدنيا، ناظراً إلى الآخرة، لأن محبة الله لا تدخل قلباً فيه حب الدنيا.

5- أن لا ينام على جنابة، وأن يكون مديم الطهارة.

6- أن لا يطمع فيما في أيدي الناس، وأن يسد على نفسه باب مراعاة الخلق فلا يلتفت لأحد من المخلوقين أقبل عليه أم أدبر.

7- أن يصبر ولا يضجر إن تعسّر رزقه وقست عليه قلوب العباد.

8- أن يحاسب نفسه ويحثها على السير في الطريق وأن يقلل النوم ولاسيما وقت الأسحار.

9- أن يتحرى أكل الحلال، ويعود نفسه على قلة الأكل((لأنه يورث النشاط للطاعة ويذهب الكسل))، وأن يصون لسانه عن لغو الحديث، وقلبه عن جميع الخواطر.

10- أن يغض بصره عن المحرمات ما أمكن، فإن النظر إليها كالسم القاتل. قال الجنيد –رحمه الله تعالى –: ((مِنْ أكبر القواطع على المريد مصاحبة الأحداث والنساء والمعاشرة لهم وينبغي للمريد أن لا يجالس الأمرد والجميل لاسيما في الخلوة)).

11- أن يترك الضحك بالقهقهة ويترك المزاح لأنهما يميتان القلب ويعقبهما ظلمة.

---

(2) أمين الكردي: تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ص 590 – 593.وعبد المجيد الشرنوبي: شرح الحكم العطائية، علق عليه: عبد الفتاح البزم ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، طبعة أولى ص 130.

(3) صحيح البخاري 7 / 96، (ك) الذبائح والصيد، (ب) المسك ، رقم الحديث 5538، وصحيح مسلم 4 / 2026، (ك) البر والصلة، (ب) استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء رقم 2628

12- أن يترك المناظرة والمباحثة بالجدل مع طلبة العلم لأنها تورث النسيان والكدورات.

13- أن يجالس إخوانه عند ضيق الصدر يتباحث معهم في آداب الطريق حتى ينشرح صدره.

14- أن يترك البحث عن أحوال الناس والمجادلة معهم.

15- ترك حب الجاه والرياسة لأنها قاطعة عن طريق الحق.

16- أن يكون متواضعاً لأن التواضع يزيد العبد رفعة.

17- أن يكون خائفاً من الله Y راجياً عفوه.

18- أن يعود نفسه على التعليق بالمشيئة عند كل قول وفعل.

19- أن يكتم ما يراه من الأسرار مناماً أو يقظة ولا ينبغي له أن يعبر عن وارداته لأن ذلك يقلها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه فلا يقول لأحد إلا لشيخه.

20- أن يجعل له وقتاً خاصاً ينفرد فيه بذكر ربه بالاسم الذي تلقنه من شيخه.

21- أن لا يستبطئ الفتح عليه، بل يعبد الله لوجهه.

ب- أدب المريد مع غيره : تزخر كتب التصوف بآداب المريدين مع غيرهم منها[29]:

1- أن يحب لهم ما يحب لنفسه ولا يخصص نفسه بشيء دونهم.

2- أن يبدأهم بالسلام والمصافحة وحلاوة اللسان كلما لقيهم.

قال ε : "مَا مِنْ مُسْلِمَينِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا"» [30].

3- أن يعاشرهم بحسن الخلق، وهو أن يعاملهم بما يحب أن يعاملوه به من المحبة والشفقة قال الجنيد: ((أربه ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه، الحلم والتواضع والسخاء، وحسن الخلق)).

4- أن يتواضع لإخوانه لقوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِين** ﴾ [الحجر : 88].

---

(1) راجع : عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية. ص 383، وراجع: – أبـو عبد الرحمن بن الحسـين السـلمي: تسـعة كتب في أصول التصوف وجوامع آداب ا لصوفية، حققها: د: سليمان إبراهيم آتش الطبعة الأولى 1414هـــ، 1993م الطباعة و النشر و التوزيع في مصر ص 185–290.و د: زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق طبعة أولى 1357ــ 1938 مطبعة الاعتماد، مصر ص 212.و– محمد أمين الكردي: تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ص 494 – 598.و أبو طالب المكي: قوت القلوب ص 125–132–134.

(2) صحيح أبي داوود، رقم 5212، والبيهقي في شعب الإيمان رقم 8954 .

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

5- أن يطلب الرضا منهم وأن يراهم خيراً منه وأن يتعاون معهم على البر والتقوى وحب الله ويرغبهم فيما يرضي الله ويرشدهم إلى الصواب إن كان كبيراً ويتعلم منهم إن كان صغيراً.

6- التلطف في النصيحة لأخيه إذا رأى منه مخالفة.

7- أن يحسن الظن بهم، وإذا رأى في أحد عيباً فليقل في نفسه: ((إنما ذلك العيب فيَّ لأن المسلم مرآة المسلم، ولا يرى الإنسان في المرآة إلا صورة نفسه)).

قال بعضهم[31]:

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها به اكتفى

8- أن يقبل عذر أخيه إذا اعتذر إليه، ولو كان كاذباً.

9- أن يصلح بين إخوانه إذا حصل بينهم نزاع في شيء.

10- أن يرحم جميع إخوانه بأن يوقر الكبير ويشفق على الصغير ويحترمهم.

11- أن يكون صادقاً معهم في جميع الأحوال وأن لا ينساهم من الدعاء بالمغفرة بظاهر الغيب.

12- أن يفسح لهم في المجالس، وأن يسأل عن اسم الصاحب واسم أبيه.

13- أن يذب عن أعراضهم وينصرهم بظاهر الغيب حيث تنتهك حرماتهم.

14- إنجاز الوعد إذا وعد، فإن العِدَة إحدى العطيتين وهي عن أهل الله دين وخلف الوعد من النفاق...

المبحث الثاني : أثر علاقة الشيخ بالمريد على سلوك الصوفية.

المطلب الأول : أثر علاقة الشيخ بالمريد على نفس المريد

إن علاقة المريد بشيخه والعكس لتولد لدى المريد ملكة التواضع وخفض الجناح والنظر إلى النفس نظرة عارف بضعفها مقر بعجزها مما يحدو به إلى الزهد والأدب في ذاته، وفي هذا استعداد لإبراز هذه الفضيلة إذا تعدى بعلاقته إلى الغير فتراه معطاءاً للغير غير طامع بما عنده وهذا من علامات الانقطاع إلى الله بالكليّة.

(3) ابن الإفرنجية، شاعر في العصر العثماني.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

قال أبو علي ابن الكاتب – رحمه الله تعالى – فيما روي عنه: ((إذا انقطع المريد إلى الله تعالى بكليته، أول ما يفيده الله تعالى الاستغناء به عمن سواه)).[32]

وروي عن سهل بن عبد الله قوله: ((شغل المريد في قلبه، إقامة الفرض والاستغفار من الذنب ، وطلب السلامة من الخلق)). [33]

المطلب الثاني : أثر علاقة الشيخ بالمريد على محيطه الاجتماعي .

أولاً : أثر علاقة الشيخ بالمريد على الرفاق المريدين:

إن التجربة العملية التي يمكن أن يراقبها الشيخ على مريديه في تربيتهم ورقيّ سلوكهم تكون من خلال علاقة المريدين بعضهم ببعض حيث تظهر ثمرات التربية و التوجيه كخطوة أولى قبل أن يتحوّل المريد إلى النطاق الخارجي. فيراقب الشيخ ذلك ليمتحن الرقة و الشفقة و التلطف و البذل و الإيثار واحتمال المكاره وخدمة الأصحاب و الخلّان [34] .

فسلامة الصديق في المعاملة بداية الطريق أما تحقق المريد بالمطلوب فلا يكون إلا بعد أن يتخطى ذلك إلى مقام يسلم فيه عدوه منه كما يسلم منه صديقه كما ورد عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى.[35] .

ثانياً : أثر علاقة الشيخ بالمريد على الأسرة و الأقارب و الجوار:

وإذا نجح المريد في تجربة آدابه مع رفاقه المريدين كان له أن ينتقل إلى خارج مجالس الشيخ لينقل هذا الأدب وتلكم الأخلاق إلى المجتمع وأول ما يصادفه من حلقات المجتمع حلقة الأسرة حيث أن المنتظر أن تبرز علاقته بشيخه وآدابها علاقة أكثر أدباً وعطف وحنو مع الوالدين إذ برهما مقترن بعبادة الإله تبارك وتعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ . (سورة الإسراء: الآية /23).

وتتعدى هذه الآداب كذلك بعد الوالدين إلى أفراد الأسرة جميعاً من شقيقة أو شقيق أو زوج أو ولد فكل بحسب وهنا لا بد من تسليط الضوء على أمر هام في علاقته مع أولاده حيث ينبغي أن يقوم بدور المعلم و المربي كما كان شيخه يربيه ويعلمه وبهذا يمتحن المريد آدابه من خلال رؤيتها في أولاده.

وبعد الأسرة، أقارب المريد وأرحامه وجواره وهنا تبرز تلكم الآداب دافعاً وعاملاً هاماً في صلة الرحم وحسن الجوار أكثر مما هي عليه في أوساط المجتمعات الإسلامية فيغدو المريد محبباً لدى الناس الذي هو سبب طبيعي لقوة روابط القرابات والأرحام والجوار.

---

(1) أبو نصر السرّاج الطوسي : اللمع ،تحقيق د: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور. دار الكتب الحديثة بمصر، ط 1960م. ص275.

(2) المصدر السابق: ص 276..

(1) المصدر السابق بتصرف. انظر: ص 276.

(2) المصدر السابق بتصرف. انظر: ص276.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ولا شك أن علاقة من هذا المستوى هي أقدم علاقات الإنسان لوجودها بوجوده، فحفظ المودة لهؤلاء أوجب من غيرهم وقد ورد عن المغازلي أنه قال: ((من أراد أن تدوم له المودة فليحفظ مودة إخوانه القدماء)) [36].

ثالثاً : أثر علاقة الشيخ بالمريد على إنشاء الصداقات كماً ونوعاً

لا شك أن التأدب بآداب الصوفية الأوائل معين طيب ومحور راسخ يحوم حوله المحبون في الله Y إذ لما تعامل المريد مع سواه بأدب علاقته بشيخه وأخلاقه الرفيعة وتواضعه ولطفه ومودته وإخلاصه وكلمته كان هذا دافعاً للآخرين إلى محبته وبناء صداقة متينة معه ومن هنا نلاحظ أن صاحب الخلق الحسن تكثر أصدقاؤه في حين يقل عدد أصدقاء من ساء خلقه! ثم إن هذه العلاقة التي يكون محورها المريد الصادق ليست علاقة عادية أو مصلحية دنيوية، وإنما هي علاقة قائمة على محبة في الله Y ومن هنا قلت: (كماً ونوعاً) فكما أن الصداقات هنا تميّزت بوفرة العدد وكذلك تتميز بما يكنه الصديق لصديقه من حب عميق متحققاً بقوله ε الصحيح:

{ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ }. [37]

وقد صرح الصوفية بوضوح عن اهتمامهم بهذا الجانب فها هو ذو النون يقول: ((ما بَعُدَ الطريق إلى صديق ولا ضاق مكان من حبيب)). [38] ونقل عن ابن السماك أنه قال له صديق: ((الميعاد بيني وبينك غداً نتعاتب! فقال له ابن السماك: بل بيني وبينك غداً نتفاخر!)) [39] ، ومثله عن الجنيد والمغازلي وغيرهما. [40]

المطلب الثالث : أثر علاقة الشيخ بالمريد على عمله المهني .

أولاً: أثر علاقة الشيخ بالمريد على اختيار المريد لمهنته:

إن علاقة المريد بشيخه بما تستحوذ عليه من وقار وهدوء وصبر ربما تجعله مقبلاً على ألوان من الحرف والأعمال دون غيرها، فنراه ينأى عن بعض المهن التي من شأنها الجفاء والغلظة وقسوة القلب، كالجزارة ، وتنفيذ العقوبات، وملاحقة المجرمين...

---

(3) أبو نصر السراج الطوسي: اللمع ، ص 279.

(1) الحديث رواه الشيخان وغيرهما. صحيح البخاري (1/ 133), رقم الحديث (660)

(2) أبو نصر السراج الطوسي : اللمع ، ص 279.

(3) المصدر السابق ص 279.

(4) المصدر السابق ص 279.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ونلاحظ هذا واضحاً في سيرة الصوفية فإننا نجدهم قد نأوا عن مثل هذه الوظائف والحرف فمنهم من يعمل حداداً أو زجاجاً أو قصاراً[41]، ومنهم من كان يعمل في حانوته[42]، ومنهم من كان يعمل نساجاً[43]، ومنهم من كان يعمل أجيراً وخادماً،[44] ومنهم من كان تاجراً[45]، ومنهم من كان حجاماً[46]، ومنهم من عمل المغازل[47]، ومنهم من كان يخرز النعال[48]، ومنهم من كان يدق الجص[49]، والملاحظ أنهم كانوا يحرصون على ذوق ذل المكاسب وقد ورد عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول: ((لا خير فيمن لا يذوق ذل المكاسب)). (50)

وورد عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يقول لمريديه: (عليك بعمل الأبطال الكسب الحلال والنفقة على العيال)[51].

وقد كان ابن أدهم نفسه يأكل من عمل يده كالحصاد والعمل في البساتين وحراسة الكروم [52] .

ومن هنا كان إعراضهم عن المناصب الدنيوية بارزاً في مواقفهم لما يكتنف هذه الوظائف من هيمنة وسطوة وسكرة، فهذا أبو إسحاق (يعني إبراهيم بن أدهم) كان في بداية أمره أمير بلخ ثم سلك طريق الزهد والورع ولم يأكل طيلة عمره إلا من كسب يده[53]. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تلكم التربية التي أخذها المريد عن الشيخ في الطريق الصوفي والتي من طبعها التواضع والصبر والبعد عن الخلاف و الشقاق.

ثانياً : أثر علاقة الشيخ بالمريد على رفاق المهنة .

وما قيل عن علاقة المريد بإخوانه المريدين يمكن أن يقال هنا، إلا أن هناك فارقاً جوهرياً وهو أن رفاق المهنة لن يبادلوه حسن العلاقة وأدبها كما وجد هناك (مع إخوانه المريدين)، وهنا يبرز دور المريد كداعية للغير إلى التخلق والتأدب بما قام فيه من حال كتواضع وخفض جناح ومودة ووفاء وجلد وصبر... ، ومن المتوقع هنا أن يكون فاعلاً أكثر، بل ربما خادماً لسواه، أسوةً بإبراهيم بن أدهم ((كما

---

(5) راجع د:أبو اليزيد العجمي و د: حسن الشافعي , في التصوف الإسلامي، دار الثقافة العربية 1417هـ 1996م ص 224.

(6) عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ص 431.

(7) راجع المصدر السابق: ص437.

(1) راجع: الهجويري ،كشف المحجوب، ترجمة د:اسعاد قنديل. ط 1994م ،1 / 357.

(2) راجع: كشف المحجوب: 322/1– والرسالة القشيرية: ص 397.

(3) نقله الدكتور أبو اليزيد العجمي والدكتور حسن الشافعي عن رسالة الملامتية ص94. تحقيق أبو العلا عفيفي 1945 م،وانظر: في التصوف الإسلامي, ص224.

(4) أبو نصر السراج الطوسي :اللمع ، ص259.

(5) انظر المصدر السابق ص 260.

(6) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(7) انظر المصدر السابق ص 259.

(8) انظر المصدر السابق ص 260.

(9) انظر الرسالة القشيرية: ص 392، واللمع: ص236

(10) راجع كشف المحجوب: 1 /314–315 ترجمة: اسعاد قنديل، راجعها د: أمين بدوي سنة الطبع 1975 مطابع الأهرام.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ورد في اللمع)) : "إذا صحبه إنسان شارطه على ثلاثة أشياء: أن يكون الخدمة، والآذان له، وأن يكون يده في جميع ما يفتح الله عليهما من الدنيا كيده".[54]

ثالثاً: أثر علاقة الشيخ بالمريد على الإنتاج والإتقان لدى المريد.

وإذا كانت علاقة المريد مع الشيخ تحكمها روابط من الصدق والوفاء والجد والإخلاص والصبر فإنها – بلا شك – سوف تزرع في المريد آثار هذه الفضائل وهو في عمله وحرفته فلسوف يكون إنتاجه نابعاً عن هذا الخلق والأدب ولسوف يتأثر إنتاجه هذا كماً ونوعاً فلن يكون عمله إلا غاية في الإتقان وكذلك لن يكون إلا غاية في وفرة الإنتاج وكثرته لأنه لا يضيع من وقت عمله الذي أؤتمن عليه مما قد يصمه بالخمول أو التقصير أو سوء الأمانة! وربما أشار إلى هذا إبراهيم بن أدهم من خلال نصائحه لمريديه: ((عليك بعمل الأبطال))[55].

المطلب الرابع: أثر علاقة الشيخ بالمريد على رقيّ البلاد وحضارتها

ربما كان من أول الانتقادات على حضارة الغرب أنها أهملت ما يسمى بالجانب الإنساني واهتمت بالجانب المادي بل أفرغت جهدها فيه..

أما الإسلام فلقد راعى الجانبين ويظهر هذا بوضوح في شخصية المريد الصوفي فهو متقن لعمله وصديق محب لأقرانه وإخوانه وداعية من خلال حاله هذه بالجملة إلى الرقي بمن حوله، ولا شك أن الصوفي يمثل مدرسة تربوية من جملة مدارس الإسلام.

والحق أن الصوفية قاموا بدور تاريخي مشرف فلقد قدموا لمجتمعاتهم عبر مراحل التاريخ الكثير واكتسبوا مكانة مرموقة بين الناس والأمر منطقي وفق مقاييس أصحاب الدراسات الاجتماعية حيث يقررون أن مكانة أيّ طائفة في مجتمعها إنما تتحدد بواسطة ما تقدمه وما تمتلكه من رموز الهيبة والتقدير، وهذه الرموز تشتق من طريقة الحياة أو نموذج المهنة أو الأنشطة الاجتماعية، أو السلالة أو الأسرة، أو عوامل أخرى تعتبر ذات أهمية خاصة في المجتمع.[56] .

وقد استحق الصوفي هذه المكانة في مجتمعاتهم لما قدّموه من عطاء وخلق لا يطلبون عليه جزاءً ولا شكوراً، ويعلنون شفقتهم على خلق الله بما يجعل كل واحد منهم يعتقد أنه مسئول عن كل الناس.[57] .

وهكذا كان الصوفية الأوائل فاعلين لا منفعلين جادين لا متقاعسين ولئن أخطأت عجلة كثير منهم اليوم فليس معنى هذا أن التصوف سيئ أو لا يصلح منهاجاً للتربية أو أن آداب الشيخ والمريد المتوارثة عقيمة لا تلد إنساناً متحضراً لا ، إنما العذر عذر من يسيء فهم التصوف من أدعيائه و ممثليه وإن أي دراسة منصفة للتراث الإسلامي من إشارة أو بيان يظهر حقيقة الدور التاريخي للصوفية سواء

---

(11) انظر :الطوسي: اللمع .236.

(12) انظر المصدر السابق ص 260.

(13) د: عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع ص56 نقله عنه د: العجمي و د: الشافعي.. انظر ص225 – 226.

(1) انظر (في التصوف الإسلامي) ص226 وقد نقله المؤلفان عن د: محمد كمال جعفر ((التراث الصوفي للتستري)) 23/2, وأحمد الطيب: ((موقف أبي البراكات البغدادي من الفلسفة المشائية)) ص9 .

في القديم أو الحديث كما كان في الهند بصفة أوضح حيث أن الإسلام لم ينتشر في الهند عن طريق الحروب بل انتشر بفضل الصوفية والطرق الكبرى.[58] .

وهكذا نجد أن علاقة المريد بشيخه وآدابه معه تساهم في بناء الحضارة الإنسانية وتسعى إلى رقي البلاد ورفعتها.

الخاتمـة:

وهكذا رأينا من خلال هذا البحث المتواضع أن علاقة الشيخ بالمريد وكذلك العكس تكلم الصوفية في شروطها وآدابها وأفاضوا في الحديث عنها وعن ضرورتها وأجادوا في كثير مما طرحوه لولا فعالة بعضهم – كما رأينا – حتى وصل بهم الأمر إلى مخالفة بعض الأحكام الشرعية المتفق عليها سلفاً وخلفاً فمنعوا ما هو جائز كزواج المريد بزوجة الشيخ بعد طلاقها أو وفاته ! وأوجبوا ما هو ليس بواجب بل ربَّما كان محظوراً في الشريعة كالسكوت على خطأ الشيخ ومخالفته الصريحة للكتاب والسنة من دون إنكار بأي وسيلة حتى القلب !.

إلا أننا لو جردنا هذه التعاليم وتلك الآداب عما شابها من سيئات لأصبحت هذه التعاليم وتلك الآداب قواعد خير وبركة على المجتمع ككل بدءاً من حسن العلائق بين الأفراد والجماعات وانتهاءً إلى تسابق حضاري إنساني تحكمه شريعة الله عزّ زجل ولقد حقق بعض الأجداد ذلك في ظل صوفية قرآنية فكانوا منارة خير وسعادة للبشر كما رأينا في المبحث الأخير..

فلعلّ علاقة الشيخ بالمريد اليوم تثمر ما أثمرته بالأمس نسأل العليّ القدير ذلك فهو نعم المولى ونعم المجيب.

والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين.

---

(2) انظر د: محمد كمال جعفر: ((التصوف تجربة وطريقاً ومذهباً)) سنة الطبع1970، دار الكتب الجامعية , مصر، ص221 – 225 ,و د: حسن الشافعي ((فصول في التصوف))..ص 146 – 150 .ود: عبد الرحمن بدوي: ((تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني))، الطبعة الأولى 1975م.. مطبوعات الكويت.وانظر ((في التصـــوف الإســـلامي)) ص226 – 227. .وقد نقله المؤلفان: عن أبي الحسن الندوي: ((ربانية لا رهبانية)) ص 109 – 131 ، ط2 ، 1976م ، وعن د: قاسم غنى: ((تاريخ التصوف)) ص666.

المراجع والمصادر:

ابن خلدون: ((شفاء السائل لتهذيب المسائل))، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، سنة الطبع:1957م.

أبو الوفا التفتازاني: ((ابن سبعين وفلسفة الصوفية))، الطبعة الأولى: 1973م – دار الكتاب اللبناني.

د: أبو اليزيد العجمي ود: حسن الشافعي: ((في التصوف الإسلامي))، سنة الطبع: 1417هـ – 1996م – دار الثقافة العربية، مصر.

أبو نصر السراج الطوسي: ((اللمع))، تحقيق: د: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، سنة الطبع:1960م ، دار الكتب الحديثة: بمصر.

رنيولد ، ترجمة د: أبو العلا عفيفي: ((في التصوف الإسلامي وتاريخه))، سنة الطبع: 1947م، القاهرة: مطبعة لحبة التأليف والترجمة والنشر.

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي: ((تسعة كتب في أصول التصوف))، تحقيق د: سليمان إبراهيم آتش، الطبعة الأولى: 1414هـ – 1993م. للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

أبو طالب المكي: ((قوت القلوب))، دار صادر ، بيروت.

إسماعيل بن محمد العجلوني: ((كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس))،سنة الطبع: 1352هـ، مكتبة القدسي، القاهرة.

الغزالي: ((الرسالة اللدنية)).. ضبطها: رياض مصطفى العبد لله..صادر عن دار الحكمة، دمشق..سوريا.

الغزالي: ((منهاج العابدين))..ضبطه: رياض مصطفى العبد الله.. دار الحكمة، دمشق .. سوريا.

الهجويري: ((كشف المحجوب)) ترجمة: إسعاد قنديل، راجع الترجمة د: آمين عبد المجيد بدوي.. سنة الطبع: 1975م. مطابع الأهرام التجارية.

المعجم الفلسفي: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، مصر، سنة الطبع: 1388هـ – 1968م و 1386 – 1966م.

كتاب: المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية، تحت عنوان: ((الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة)) كلية دار العلوم، 1996م.

د: حسن الشافعي: ((فصول في التصوف))، طبعة دار البصائر، القاهرة.

د: حامد طاهر، ((تمهيد لدراسة التصوف الإسلامي))، سنة الطبع:1991، مكتب النشر للطباعة، مصر.

د: زكي مبارك، ((التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق))، الطبعة الأولى 1375هـ – 1938م مطبعة الاعتماد , مصر.

د: عبد الرحمن بدوي: ((تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني))، الطبعة الأولى 1975م، مطبوعات الكويت.

عبد الكريم القشيري: ((الرسالة القسيرية))، تحقيق: معروف زريق وعليّ عبد الحميد بلطه جيّ دار الجيل: لبنان.

الإصدار السادس – العدد اثنان وخمسون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2023م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

عبد المجيد الشربوني: ((شرح الحكم العطائية))، علق عليه: عبد الفتاح البزم، الطبعة الأولى، دار ابن الكثير: دمشق–بيروت.

محمد أمين الكردي: ((تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب))، تحقيق: نجم الدين الكري، سنة الطبع:1411هـ – 1991م،دار القلم العربي ، سورية مطبعة الصباح دمشق.

د: محمد كمال جعفر، ((التصوف تجربة وطريقاً ومذهباً))، سنة الطبع:1970، دار الكتب الجامعية.

محمود المراكبي: ((ظاهر الدين وباطنه)).. سنة الطبع 1996م، دار الطباعة والنشر: مصر.

محمود المراكبي: ((عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة))، سنة الطبع: 1996م، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة– مصر.

“The relationship of the Sheikh with the disciple and its impact on the behavior of Sufis in societies”

Abstract:

Praise be to God, Lord of the worlds, and the best prayer and peace be upon our master Muhammad and all his family and companions...

Sufism as a phenomenon has had its impact throughout Islamic history in all aspects of personal life on the life of the disciple and various aspects of his social, educational, cultural and economic life, whether related to individuals or to society as a whole.

And the most important thing in which these traces emerge in their first or simple manifestations is in the relationship of the aspirant with the Sheikh, as well as the opposite, as the Sufis spoke about their conditions and etiquette and spoke extensively about them and their necessity and excelled in many of what they proposed.

Were it not for the presence of some violations in some of the Sharia rulings agreed upon before and after, they forbade what is permissible, such as the marriage of the murid with the wife of the sheikh after her divorce or death, and they enjoined what is not obligatory.

And if we stripped these teachings and those etiquettes of the evils that were marred by them, then these teachings and those etiquettes would have become rules of goodness and blessing for society as a whole, starting with the good relations between individuals and groups and ending with a civilized human race governed by the law of God Almighty. And happiness for human beings, as we saw in the last topic, perhaps the relationship of the Sheikh with the disciple today will yield what it yielded yesterday.

Key words: Sufism - Sheikh - Disciple - Rags - Connection - Piety – Integrity.